

كريمة الصقلي تفتتح الليلة "مهرجان بيت الدين": أثبثت بالتراث وأسْمهان منهج متكامل

المستقبل - السبت 12 تموز 2008 - العدد 3015 - ثقافة و فنون - صفحة 21

سحر طه

كريمة الصقلي، صوت الطرب الأندلسي والتراث الصوفي الراقي. صوت متقن مثل المغرب والوطن العربي بجدارة في المحافل ومسارح العالم بخاصة مهرجانات الثقافة والموسيقى العريقة والتقليدية. صوت يخترن مختلف المقامات اللحنية العربية، ويقع ضمن مساحة صوتية واسعة، يخترق الأذن وينام في الأعماق بأدائها العاشق لهذه المقامات، والحضارة التي تعتبرها كنزاً تنهل من أنهارها العذبة أنغاماً مشبعة بالتنوع والثراء. كريمة الصقلي نشأت في بيئة تحترم التراث بكل أنماطه، ما ساهم في تبلور ذائقتها الموسيقية وصل موهبتها منذ يفاعتها واختمار شخصيتها الفنية عبر سنوات من العطاء والوفاء للإرث الموسيقي النبيل. "المستقبل" التقت الفنانة الرصينة عشيبة حفلتها التي تفتتح مهرجانات "بيت الدين"، وهنا تفتح ملفاتها المهنية الفنية وتحدثنا بصفاء ووضوح عن مبادئها وتطلعاتها.

نعلم أنك قدمت أمسيات عدة في مسارح عربية وعالمية وفي مناسبات عدة. ماذا عن أمسياتك في مهرجان "بيت الدين"، ولماذا تكريم أسْمهان بالذات؟

— بالطبع لي مشاركات عدة في مهرجانات كما ذكرت، وفي لبنان كان لي لقاءات مع موسيقيين وباحثين والصحافة كرممتي عندما أتيت إلى بيروت عام 2006، لا سيما جريدة "المستقبل"، وكان هناك صحافي اسمه فادي مطر يعمل في الإعلام الفرنسي طرح موضوع مشاركتي في لبنان وهكذا تمت المداولات، وأنا أشكر اللبنانيين وخاصة إدارة مهرجان "بيت الدين" التي تعمل بحرفية عالية وتريح الفنان في أدق التفاصيل. أما لماذا أسْمهان؟ فالتحليلات الموسيقية للأعمال التي قدمتها الراحلة أسْمهان تعتبر مدرسة بحد ذاتها لتعليم الغناء، مثل أي مقرر في مواد التدريس، بصفة عامة تشتمل أغنياتها على أداءات تعبيرية أوبرالية، وغناء حديث وتطريبي عربي. يشمل البرنامج المحدود لأسْمهان على غنى نغمي وثرأ موسيقي لمن يطلب التعلم والإتقان. وبالنسبة لي أداء أغنيات أسْمهان، متعة أولاً وهوس ثانياً ثم فرصة لتوظيف مساحتي الصوتية ومعرفة أكثر بالمقامات و"أوبراتيك" في الغناء.

الصوت الكبير

لكن هل تحتاج كريمة الصقلي إلى إبراز إمكاناتها الصوتية بعد سنوات ولمن؟ في وقت بات توافر الصوت الكبير مسألة ثانوية تقريباً؟

— الغناء موهبة وبرأيي الصوت يحتاج إلى دراسة وصفل واستمرارية في التعامل اليومي. هناك معاهد موسيقية وأقسام للغناء وهناك جمهور موجود، يسمع وينتقد. الموجة موجودة فيما يسمى الأغنيات الخفيفة — بمقاييس اليوم لا الأمس — لكن هذا النوع مفروض وبإمكاننا أن نوظفه للترفيه أو التلطيف، لا مانع، لكن الإنسان بطبعه يتقبل كل الأنماط فلماذا لا نعطي كل شخص حقه في الاستماع إلى النمط الذي يحبه. أعني التعدد والاختلاف في الأذواق موجود في كل شيء لذا علينا العمل على إتاحة أنواع عدة من الغناء للمستمعين.

نحن في زمن الصورة والمشهد، اختلفت أولويات السماع، والغناء ولم يعد الصوت والنغم والمقام الأولوية بل للصورة. أين أنت من هذا العصر؟

— أعتقد إن الزمن الماضي كان أيضاً زمن الصورة. لأن الأغنية وظفت في السينما وبات الرقص مرافقاً للمشهد وغيرها من الوسائل المكتملة، فوصلت الأغنية عبر الأفلام. اليوم حل الفيديو كليب مكان المشهد ضمن الفيلم وصارت فيلماً مستقلاً، وبات لها منتج خاص وشركات ضخمة، وباتت الأغنية صناعة وعمل مؤسساتي. بالنسبة لي اخترت العمل الجدي لأن الجمهور موجود ويستحق مني أن أشتغل بكل إمكاناتي المادية والصحية لتوصيل صوتي.

ألا تجدين العمل الفردي مضمناً من دون شركة إنتاج وتمويل لإنتاج أعمالك؟

— بالطبع هذا جوهر مشكلة الانتشار. من دون شركة إنتاج يصبح العمل متعباً لأن تفاصيل الإنتاج مسألة تحتاج إلى جهود متكاتفه بدءاً من رأس المال إلى فريق يتابع التفاصيل في إصدار اسطوانة أو برمجة حفلات وغير ذلك لاستمرار عطاء الفنان. والحقيقة لولا محبتي لعملتي وتشبثي به والصبر والصمود لما استطعت أن أكمل فيه. من هنا ضرورة وجود شركة منتجة تدفع بالفنان قدماً، وتسوق أعماله سواء عبر الفيديو كليب وتخصيص الميزانيات لعمل راقى ونبيلا وأنا اليوم أدرس عروض بعض شركات الإنتاج وأعتقد أنني قريباً إن شاء الله أنضم إلى إحداهما.
المعادلة

هناك أصوات قديرة تعزف شركات الإنتاج عن التسويق لها، فيما تتسابق لتسوق للكثيرات ممن أتين من عالم الإعلان والأزياء من توافر أدنى شروط الإمكانيات الإبداعية، ما رأيك بهذه المعادلة؟

— لا رأي لدي في المسألة، شخصياً أتشبث بالتراث واتمسك بالجودة، والغناء ساحة متاحة للجميع، يبقى كيفية التعامل مع المسألة في مجتمعنا هو جوهر السؤال.

هناك مدرستان في الغناء الشرقي العربي، الأولى تتمسك بالتخت التقليدي بآلاته الموسيقية المعروفة وترفض أي تداخل لآلات غربية، والثانية تتمسك بمسألة التجريب وإن الموسيقى العربية تستطيع التكيف مع موسيقات العالم وآلاته، إلى أي مدرسة تنتمين؟

— أعتقد بأن الموسيقى هي أرقى أنواع الحوار. الموسيقى لغة واحدة قبل الكلام وموسيقانا واسعة وصدورها رحب تتكيف مع عوامل الآلات الموسيقية لتؤدي العربي والغربي والتراث وغيره. على سبيل المثال في المغرب مهرجانات

كبيرة مثل "القناوة" الأفريقية القديمة. يؤدي فيها موسيقيون تقليديون على آلات تقليدية آتية من عهود سحيقة وإلى جانبها الغيتار الكهربائي والساكسفون وكل ما هو محسوب على الجاز من آلات أخرى، مع حرفيي جاز وموسيقي "كلاسيكية" من العالم الآخر، فنستمع إلى موسيقى من كل أوب و صوب في قالب واحد. لذا فالموسيقى لغة الشعوب ووسيلة حوار.

لماذا التصوف؟ غنيت ابن عربي وابن زيدون وآخرين في مهرجانات تعنى بهذا الشعر؟

— في المجتمع المغربي هذا التوجه يسود المناسبات الدينية والدينية مثل الأعياد والزواج والظهور وفي الزواج والولادة والمولد النبوي وعيدي الفطر والأضحى كما في الوفاة وغيرها، فهناك نستمتع إلى التقاليد الصوفية وألحانها ثم هي موجودة في أمسيات موسيقية مثل المهرجانات، لذا أحاول الاستمرار في المدرسة التي نشأت فيها.

لذا كان أدائي في افتتاح "مهرجان فاس للموسيقى العريقة عام 2000، لقصائد محمد الحراق و"حبك قد أرقني" لذي النون المصري، "هل لداعيك مجيب" لابن زيدون و"أكاتم وجددي" و"الهوى راشقي" لابن عربي. ثم أداء ما يسمى "الوصلة" (في مقام الرست) والتي تعتمد نظام البدء بمعزوفة مثل سماعي ولونغا ثم غناء موال ودور "دمع المحبوب" وموشح "الروح بحبكم تفوح" وصولاً إلى طقطوقة "عني يا فنان" ثنائية مع لطفي بوشناق وطقطوقة "حبيبا" وقد صدرت في أسطوانة تبناها معهد العالم العربي في باريس. هي من لحن الفنان بوشناق وشعر آدم فتحي.

وهذا استمرار لا قطع بين البارحة واليوم مع انفتاح ثقافي على مدارس عدة عربية وأجنبية. أنا لست ضد، لذا كانت مشاركة من الفنانة الأميركية ويلهيمينا فرنانديس التي أدت دور أميرة الحب، وأنا دور ليلي في حوار موسيقى غنائي غاية في الغنى والثراء لأن وجود تجارب عدة وتعدد واختلاف يمنحنا غنى وتناغماً وخبرة.

ومن الرائع البحث أكثر في الصوفيين الذين مضوا مثل الشيخ الأكبر ابن عربي وابن الفارض والحلاج وآخرين، فالإنسان الذي يصل إلى حالة ما من الوجد لا بد أن يبدع في مسألة ما، خاصة مع توافر البساطة والتواضع كنهج حياة وأسلوب للوصول إلى الحقيقة والقناعة، إلى الحرية التي لا تتعبك ولا تتعب غيرك.

ماذا منحتك التجربة مع فنان كبير مثل لطفي بوشناق وآخرين؟

— أي تجربة وتعامل مع أشخاص لهم إبداع تغني تجربتي لذا كان تعاملي مع بوشناق في عمل "الوصلة" الذي تحدثنا عنه، جميل ومنحني الثراء فهو نهج وضمير واختيار، ونحن نشأنا في مدرسة واحدة، فلا بد أن نسير في منهج واحد. كذلك لي تجربة غنية مع الفنان العراقي نصير شمة وسعيد شرايبي والتونسية يسرى الذهبي عازفة العود وهنا أعلن إيماني بالعمل الجماعي. الآخرون شركائي، الموسيقيون، الجمهور، أي السمع هو شراكة فمن دون متلقٍ لا يكون هناك إنجاز.

التلحين

مع وجود هذا المخزون اللحني في ذاكرتك، هل حاولت التلحين؟

— أنا أؤندن، لكن لم أحاول. لكن أقول إن نسيج المقامات ألوان وأحوال. المؤدي، المطرب عنده إمكانية العطاء من عنده، فالإبداع في المواويل مثلاً تتم عن قدرات لحنية لدى المطرب، إذ إن الموسيقى تتبع من الروح، تمنح صاحبها متعة روحانية وجسدية والصوت والذات واحد، في انتعاش داخلي، هذا الذي نوصله للجمهور. قد أحتاج إلى جرأة لألحن، لكن في أحيان كثيرة أقترح تعديل أو تغيير جملة في لحن ما إذا كانت نحو جمالية أكثر في الأداء.

لم لا تعلن المرأة عن أبحاثها بجرأة كما يفعل الرجل؟

— التاريخ العربي منذ العصر العباسي يشهد ان الموسيقى تطورت على أيدي النساء في الغالب، كان هناك عازفات وملحنات وشاعرات. في المغرب مثلاً حين سقطت غرناطة أتى العرب إلى المغرب، في وقت لم يكن صوت المرأة مسموعاً أو بارزاً. وخلال خمسة قرون لم نعرف شهرة لصوت نسائي. كان لدينا تراث "العيطة" فيه رسالة وجرأة ويؤدى من قبل المرأة في البيوت، حوروه كي لا تظهر المرأة واليوم هو تراث شعبي شائع. لكن المحاولات هذه لم تحد من إبداع المرأة بدليل إننا نسمع بنساء مبدعات في الموسيقى.

الجمهور اللبناني يتابع كريمة الصقلي بحمبة واحترام وينتظر أمسيته اليوم في افتتاح "مهرجانات بيت الدين"، ماذا عن برنامج تكريم أسمهان التي لها مكانة أيضاً لدى المستمع اللبناني؟

اسمهان

— الجمهور اللبناني يتابع بحب كبير وأنا منذ سنتين ونصف بدأت ألتقيه عن قرب، وكنا نصلي لكي تنتهي الأزمات السياسية والأمنية، فلبنان معروف منذ زمن بعيد بثقافة أهله ومعرفته وله موقع في العالم ولدينا نحن العرب خاصة. خلال هذا الوقت أتيت مرات عدة وكانت لقاءات عدة وحضرت نشاطات في مسارحه وندوات وغيرها، إذن هذا دليل إنه في عز الأزمات لبنان يتنفس بالثقافة. أتمنى من كل قلبي الانتعاش والحيوية وعودة الإشعاع الثقافي إلى لبنان. أما أسمهان فسوف أؤدي لها أعمالاً أكاديمية معروفة تمتاز بها كما قلت هذه المدرسة الغنية بعيداً من التقليد، بل تحية لها كرمز من رموز الموسيقى العربية. قصائد وأغنيات معروفة أحبها الجمهور وعرفها من خلال صوتها العملاق.

وأخيراً؟

— كل الشكر لإدارة "مهرجان بيت الدين" لدعوتهم لي في الافتتاح واهتمامهم بالتفاصيل من إخراج وشكل راق. وأتمنى أن تبقى الليلة في الذاكرة. والشكر للإعلام اللبناني ولكل من ساهم في وجودي ولقائي الجمهور.